السَّنة الثامنة والسَّبعون بعد المئتين

فيها لليلتين بقيتا من المحرَّم طلع كوكب ذو جمَّة، ثمَّ صارت الجمَّة ذُؤابة.

ووردت الأخبار أنَّ نيل مصر غار فلم يبق منه شيء، ولم يُعْهَد ذلك قطُّ، ولا سُمع به في الأخبار السالفة، فغلت الأسعار عندهم.

وفي المحرَّم انصرف أبو أحمد الموفَّق من الجبل إلى بغداد مريضاً، وكان به نِقْرِس، فلم يقدر على ركوب الخيل، فاتُّخذ له سريرٌ عليه قُبَّة، فكان يَقعد عليه والخدم يبرِّدون رجليه بالثَّلج، فأنزلوه في دَيالَى في زَلَّالٍ[1] حتَّى أخرجوه إلى دجلة، ثمَّ زاد مرضه فصار داءَ الفيل، فكان يَحمل سريرَه قبل نزوله في الماء أربعون رجلاً، يتناوب عليه عشرون عشرون، وربما اشتدَّ به الوجع أحياناً فيأمرهم أن يضعوه، وقال يوماً للذين يحملونه: لعلَّكم قد ضَجِرتُم منِّي، وَدِدْتُ والله أنِّي كواحدٍ منكم أَحملُ على رأسي وآكل وأنِّي في عافية.

وقال في مرضه هذا: قد أطبق دستوري [أو دفتري] على مئة ألف مُرتَزِق، وما أصبح فيهم أسوأ حالاً منِّي.

وفي يوم الاثنين لثلاث بَقينَ من المحرَّم وافى النَّهْروان، فأخرجوه إلى دجلة إلى الزَّعفرانية، وصار في داره يوم الجمعة لليلتين خلتا من صفر، فأقام بها، وانتفخ قدمه وعَظُم، فتوفِّي في صفر، وسنذكره إن شاء الله تعالى [في ترجمته، والله أعلم][2].

وفيها ظهرت القرامطة بسواد الكوفة، وقد اختلفوا فيهم على أقوال: أحدها: أنَّه قدم رجل من ناحية خُوزِستان إلى سواد الكوفة إلى موضع يقال له: النَّهرين، فأقام بها وأظهر الزُّهد والتَّقشُّف، وكان يَسُفُّ الخُوصَ ويأكل من كَسْبه، ويصلّي اللَّيل والنَّهار،

---

(١) الزلَّال: ضربٌ من السفن الصغيرة والسريعة كانت معروفة بنهاية العصر العباسي. معجم المصطلحات والألقاب التاريخية: ٢٢٣، والديارات للشابشتي: ٢٤، وتكملة المعاجم لدوزي ٥/ ٣٤٤.

(٢) ما بين معكوفين من (ب) وجاء بعدها فيها: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. وانظر الطبري ١٠/ ١٩ـ٢٠، و«المنتظم» ١٢/ ٢٨٧، و«الكامل» ٧/ ٤٤١، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٧٠ـ٤٧١.

ويَسْرُدُ الصَّوم، فأقام على ذلك مدَّة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدِّين، وزهَّده في الدُّنيا، وأعلمه أنَّ الصَّلاة المفترضة على النَّاس خمسون صلاة في اليوم واللَّيلة، حتَّى فشا ذلك عنه، ثمَّ أعلمهم أنَّه يدعو إلى إمام من أهل البيت عليهم السَّلام.

وكانوا يقعدون إليه، ويحدِّثهم بمثل هذا وأشباهِه، وكان يقعد إلى بقَّال في القرية، وبالقرب منه نَخْل اشتراه قوم من التُّجَّار، فسألوا البقَّال أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم التَّمر، فدلَّهم عليه، فكان يأخذ من البقَّال كلَّ ليلة رطلَ تمر، فيفطر عليه، ويبيع للبقَّال النَّوى، وبلغ التُّجار، فأتوا إليه، وضربوه، وقالوا: ما كفاك أن أكلتَ التَّمر حتَّى بعتَ النَّوى؟ فقال لهم البقَّال: ويحكم، لقد ظلمتموه؛ فإنَّه لم يأكل من تمركم، وإنَّما كان يشتري منِّي التمر فيفطر عليه، ويبيعني النوى، فندموا على ضربه، وسألوه أن يجعلهم في حِلٍّ ففعل، فازداد نُبْلاً عند أهل القرية، ومرض فرمى بنفسه على الطَّريق.

وكان في القرية رجل اسمه حَمدان، ويقال له: كرميته، وتفسيره بالنبطيَّة: الأحمر العين، وكان له ثوران يحمل عليهما غلَّات السَّواد، فقال البَقَّال لكرميته: هذا الخراسانيُّ رجل صالح وغريب ومريض، فاحمله إلى منزلك. فحمله وأقام عنده حتَّى برأ، ثمَّ كان يأوي إلى منزله، ووصف مذهبه لأهل تلك النَّاحية فاتَّبعوه، فكان يأخذ من كلِّ رجل ديناراً، واتَّخذ منهم اثني عشر نقيباً [كما فعل موسى وعيسى بالحواريين]، وفرض عليهم في كلِّ يوم خمسين صلاة ووظائف للعبادات، فاشتغلوا بها عن أعمالهم، فخربت الضِّياع وتعطَّلت المصالح.

وكان للهَيْصَم هناك ضياع، فقصَّروا في عمارتها، فسأل عن ذلك [فقيل له: إنَّ رجلاً ظهر فيهم، وأظهر لهم مذهباً، وفرض عليهم كذا وكذا،] فأُخبر بخبره، فطلبه، فحضر، فسأله عن أمره، فدعاه إلى مذهبه، فحبسه في بيت، وأقفل عليه الباب، وحلف ليَقْتُلَنَّه، وترك مفتاح القفل تحت رأسه ونام، وسمعتْه جاريةٌ من جواريه فرقَّت له، وأخذت المفتاح، وفتحت عليه وأخرجته، وقفلت الباب، وأعادت المفتاحَ إلى مكانه، وانتبه الهَيْصَم ففتح الباب، فلم يجده، وقال النَّاس: رُفع إلى السَّماء.

ثمَّ ظهر في مكان آخر، فسألوه عن قصَّته فقال: من تعرَّض لي بسوء هلك.

ثمَّ هرب إلى الشَّام فلم يُعرف له خبر، وسمِّي كرميته باسم الرَّجل الذي كان في

منزله، ثمَّ خُفِّف فقيل: قرْمط.

وفي رواية: وكان هذا الرَّجل قد لقي الخبيثَ صاحبَ الزَّنْج، فقال له: ورائي مئة ألف سيف، فوافِقْني على مذهبي حتَّى أصير إليك بمن معي، وتناظرا فاختلفا ولم يقع بينهما اتِّفاق، فافترقا من غير شيء [وهذا أحد الأقوال في تسمية قُرمط].

والثاني: [أنَّ] أوَّل مَن أظهر لهم هذا المذهبَ رجل يقال له: محمد الورَّاق، يُعرف بالمُقرمِط، من أهل الكوفة، شرَّع لهم شرائع، ورتب لهم ترتيباً، قال: خالف به الإسلام.

والثالث: أنَّ بعض دُعاتهم اكترى دوابَّ [أو بقراً] من رجل يُقال له: قُرمط بن الأشعث، ودعاه إلى مذهبه [فأجابه]، وصار [قرمط] داعيةً في مذهبهم. والقول الأوَّل أصحُّ.

ثمَّ همْ فرق: القرامطة، والباطنية، والخُرَّميَّة، والبابَكية، والمحمِّرة، والسَّبعيَّة، والتعليميَّة.

فأمَّا الباطنيَّة: فادَّعَوا أنَّ لظواهر الآيات والأخبار بواطنُ تجري مجرى اللُّبِّ من القشر، وادَّعوا ذلك لقوله عليه السّلام: «لكلِّ آية بطن وظهر»[1] وكذا قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾[الحديد: ١٣] يعني بين علمائهم والجهَّال، وإنَّ من وقف على علم الباطن سقطت عنه التَّكاليف، واستراح من أعبائها.

وأما الخُرَّمية: فخُرَّم اسمٌ أعجميٌّ معناه: الشيء المُستَلَذّ، وهم أهلُ الإباحة من المجوس الَّذين نبغوا في أيَّام قُباذ، فأباحوا المحظورات، فلُقِّب هؤلاء بهم.

[وقد ذكرناهم في صدر الكتاب].

وأمَّا البابَكية: فهم أصحاب بابَك الخُرَّمي، ولهم ليلة في السَّنة يجتمعون فيها، يختلط النِّساء بالرِّجال، ويتناهبون النساء، فمن وقعت في يده امرأة استحلَّها.

وأمَّا المحمِّرة: فهم قوم يلبسون الثِّياب الحُمر، لهم مذهب يُعرفون به.

وأمَّا السَّبعية: فزعموا أنَّ الكواكب السَّبعة تدبِّر العالم السُّفلي.

---

(١) أخرجه البزار في مسنده «البحر الزخار» (٢٠٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٥١٤٩) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

وأمَّا التعليمية: فمذهبهم إبطالُ القياس، ولا علم إلَّا ما يُتلقَّى من إمامهم.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زعم [قوم] أنَّ الإسماعيليَّة منهم، وأنَّ قُرمط غلام إسماعيل بن جعفر بن محمد بن محمد الصَّادق أحدث لهم هذه المقالات، وليس كما ذكروا؛ فإنَّ إسماعيل كان يدعو إلى مذهب آبائه وأجداده، ولا يخرج عن الشَّريعة المحمديَّة، ولا يُعرف له غلام اسمه قُرمط، وإنَّما القرامطة مَن ذكرنا يشيرون إلى مذهب الملاحدة مثل زرادشت ومزدك وماني وغيرهم، [ومن ذكرنا في صدر الكتاب] ممَّن أباح المحظورات والأمَّهات والبنات، وشيَّدوا مذهب الفرس والمجوسيَّة، وقالوا بقول الفلاسفة، وجَحدوا النُّبوَّات، وأباحوا الخمورَ والملاهي وغير ذلك.

فأمَّا الإسماعيلية: فينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصَّادق، وأنَّه لايزال منهم إمام معصوم يتلقَّون منه العلوم، ويُظهرون التمسُّك بالإسلام والصَّوم والصَّلاة ونحو ذلك.

ومن مذاهب القرامطة أنَّ محمد بن الحنفية هو المهديّ، وأنَّه جبريل، والمسيح، والدَّابة الَّتي تخرج في آخر الزَّمان، ويزيدون في الأذان: وأنَّ نوحاً رسول الله، وإبراهيم رسول الله، وعيسى رسول الله، ومحمد بن الحنفية رسول الله، وأنَّ القبلة والحج إلى بيت المقدس، ويوم الجمعة والاثنين والخميس يوم استراحة، وأن قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٩] أي: ظاهرها؛ ليعلموا بها عدد السِّنين والحساب والشهور والأيَّام، وباطنها هم أوليائي الذين عرَّفوا عبادي سبيلي، وأنَّ الصَّوم في السَّنة يومان وهما: النَّيروز والمهرجان، وأنَّ النَّبيذ حرام، والخمر حلال، ولا غُسل من الجنابة إلا غسل الذَّكر، وما معنى الاغتسال من المنيِّ دون البول. وكثير من هذه الحماقات والخرافات[1].

ومنهم مَن يتحيَّل على المسلمين بطرق شتَّى، ولا يَنْفق قولُهم إلَّا على الجُهَّال، فتارةً يدخلون على أهل السنة بما يوافقهم، وعلى الشِّيعة بما يوافقهم، ويَخدعون الطَّوائف بكلِّ حيلة، ويتوسَّلون إلى استجلابهم بكلِّ وسيلة، فيقولون للدّاعي: اجعل التشيُّع دينَك عند أهله، فقل: ظُلِم عليٌّ عليه السَّلام وغُصب حقُّه، وقُتل الحسين وسُبي

(١) «تاريخ الطبري» ١٠/ ١٩ـ٢٧ ، و«الكامل» ٧/ ٤٤١ـ٤٤٩ ، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٤٧٠ـ٤٧٣ .

أهله، وجرى عليهم ما جرى، وتَنَقَّص أبا بكر وعمر، واذكر ما فعلا، وما فعل بنو أميَّة بأهل البيت، وإن كان سنِّيًّا فاعكس الأمر، وإن كان رقيق الدِّين فاذكر له الرَّجعةَ، والمجون، والخلاعةَ، والتَّناسخ، وإن كان زاهداً فاذكر له الزُّهد والتَّقشُّف ونحو ذلك، وعلى هذا المثال يستدرجون الخلائق إلى مذاهبهم بكلِّ طريق، فمن وافقهم سُلب التَّوفيق، [وقد ذكرنا في صدر الكتاب طرفاً من ذلك]، وسنذكر جملةً من مذاهبهم في أماكنها[١].

[فصل وحجَّ بالنَّاس هارون بن محمد الهاشميّ].

وفيها غزا يازمان الخادم الصَّائفة، فبلغ حِصناً يقال له: سَلَنْدو، فنصب عليه المجانيق، وأشرف على فتحه، فجاءه حجر من الحصن فقتله، فارتحلوا به وفيه رمق، فمات بالطَّريق من غده في رجب، فحُمل على أكتاف الرِّجال إلى طَرَسوس، فدُفن بها، وكان شجاعاً جواداً[٢].

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن عبيد الله بن المدبّر، الكاتب، أبو الحسن [الذي أسره الزَّنج من الأهواز.

قال الحافظ ابن عساكر:] بعثه المتوكّل سنة إحدى وأربعين ومئتين إلى دمشق، فمسح أراضيها، وأصله من سُرَّ من رأى، وكان أديباً شاعراً، [ولّاه المتوكل خراج جند دمشق والأردنّ.

وذكره الصُّولي فقال: أحمد أسنُّ من أخيه إبراهيم، وأحمد بن المدبر هو الذي إذا امتدحه شاعر فلم يرضه بعث غلمانه معه إلى الجامع، فيلازمونه حتى يصلِّي مئة ركعة فتحاماه الشُّعراء، وقد ذكرناه في ترجمة الجَمَل الشاعر، واسم الجَمَل حسين بن عبد السَّلام].

حُبس أخوه إبراهيم، فكتب إليه من الحبس رُقْعةً يشكو إليه ما هو فيه، فكتب إليه

(١) «المنتظم» ١٢/ ٢٩٣ـ٢٩٤.

(٢) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٢٧.

أحمد: [من الوافر]

أبـا إسـحـاقَ إن تـكُـنِ الـلَّـيـالـي ... عَطَفْنَ عليك بالخَطْبِ الجَسيم
فـلـم أرَ صـرفَ هـذا الـدَّهـر يَـجـنـي ... بـمـكـروه عـلـى غـيـر الـكـريـمِ[1]

ومن شعر أحمد: [من الوافر]

دنـوتَ تـواضُـعـاً وبَـعُـدْتَ قَـدْراً ... فـشـأنـاك انـخـفـاضٌ وارتـفـاعُ
كـذاك الـشَّـمـسُ تَـبـعـد أن تُـسـامـى ... ويَـدنـو الـضَّـوءُ مـنـهـا والـشُّـعـاعُ[2]

وقال[3] أبو الحسين الرَّازي: كان أحمد بن المدبّر على دمشقَ وأعمالها لمالك بن طَوْق، فقدم عليه ديكُ الجنّ، فأقام ببابه مدَّة لا يصل إليه، فكتب إليه: [من البسيط]

إنِّـي بـبـابـك لا وُدِّي يُـقـرِّبـنـي ... ولا نَـسـيـبـيَ يـعـلـو بـي ولا نَـسـبـي
إنِّـي امـرؤٌ نـازلٌ فـي ذِروَتَـيْ شَـرَفٍ ... لـقَـيْـصَـرٍ ولـكِـسـرى مَـحـتـدي وأبـي
مـا شِـدَّةُ الـحِـرْصِ من شأني ولا طَلَبي ... ولا الـمـكـاسـبُ مـن هَـمِّـي ولا أَرَبـي
لـكـن طـوارقُ تـأتـيـنـي وحـادِثـةٌ ... والـدَّهـرُ يَـطـرُقُ بـالأحـداثِ والـنُّـوَبِ
ولـيـس يَـعـرفُ لـي قَـدري ولا أدبـي ... إلا امـــرؤٌ كـــان ذا قَـــدْرٍ وذا أَدَبِ
واعـلـم بـأنَّـك مـا أسْـديـتَ مـن حَـسَـنٍ ... عـنـدي أنـا حَـسـنٌ أنـقـى مـن الـذَّهـبِ

فأحسن إليه[4].

[وفيها توفي]

ديك الجنّ

ذكر أخباره:

[قال أبو الفرج:] واسمه[5] عبد السَّلام بن رَغْبان بن عبد السَّلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم، أبو محمد.

---

(١) ذكر هذين البيتين أبو الفرج في «الأغاني» ٢٢/ ١٧٧، وهذا الخبر ليس في (ب).

(٢) ذكر هذين البيتين القالي في «أماليه» ١/ ٤٠ ونسبهما للبحتري.

(٣) من هنا إلى آخر الترجمة ليست في (ب).

(٤) «تاريخ دمشق» ٢/ ١٨٧ـ١٨٩، و٤٢/ ٢٣٧ـ٢٣٨.

(٥) في (خ، ف): ذكر أخبار ديك الجن واسمه...، والمثبت وما بين معكوفين من (ب).

أسلم جدُّه تميم على يدي حَبيب بن مَسْلَمة الفِهريّ، وسمِّي ديك الجنّ لأنَّ عينيه كانتا خضراوتين، وكان قبيح المنظر.

[وكان شاعراً] فصيحاً، عاصر أبا تمَّام، وكان أبو تمَّام يعترف له بالفضل، وهو من شعراء الدَّولة العبَّاسية، وكان يسكن حمص ويتشيَّع وله مَرَاثٍ في الحسين عليه السَّلام[١].

ومن شعره: [من الكامل]

سُكران سكر هوًى وسُكر مُدامةٍ فمتى يُفيق فتًى به سكران

وكان صاحبَ لَهْو، [ولم يذكر الأصفهاني تاريخ وفاته،] وهو الذي قتل غلامَه وجاريتَه.

وقال عليُّ بن عبد الله الأنماطي: كان عبد السَّلام[٢] بن رَغْبان الملقَّب بديك الجنّ شاعراً، أديباً، ذا نعمة حَسَنة، وكان له غلامٌ كالبدر، وجارية كالشَّمس، وكان يهواهما جميعاً، فدخل يوماً منزله على غَفلةٍ فرآهما مُتَعانقَين، والجارية تقبِّل الغلام، فشدَّ عليهما فقتلهما، ثمَّ جلس عند رأس الجارية يبكي ويقول: [من الكامل]

يا طلعةً طلع الحِمامُ عليها وجنى لها ثَمَرَ الرَّدى بيدَيْها
روَّيتُ من دمها الثَّرى ولطالما روَّى الهوى شَفَتيَّ من شَفتيها
فأَجَلْتُ سَيفي في مَجال خِناقها ومَدامعي تجري على خدَّيْها
فوَحَقِّ عينيها وما وَطِئ الثَّرى شيءٌ أعزُّ عليَّ من عَينيها
ما كان قَتْليها لأنِّي لم أكن أبكي إذا سقط الغُبارُ عليها
لكن بَخِلْتُ على سِواي بحُسْنها وأنِفْتُ من نظر الغلام إليها

ثم جلس عند رأس الغلام فقال: [من الكامل]

قمرٌ أنا استخرجتُه من خِدْره بمَودَّتي وجَزيتُه من غَدْرِهِ
فقتلتُه وله عليَّ كرامةٌ مِلْءُ الحشا وله الفؤادُ بأَسْرِهِ

(١) «الأغاني» ١٤/ ٥١.

(٢) في (ب): وذكر القصة الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٣١٢) فقال بإسناده عن جماعة من شيوخ حمص قالوا: كان عبد السلام، والمثبت من (خ) و(ف).

عَـهْـدي بـه مَـيْـتـاً كـأحـسـنِ نـائـمٍ والـدَّمـعُ يَـنْـحـرُ مُـقـلَـتـي فـي نَـحْـرِهِ
غُـصَـصٌ تـكـاد تَـفـيـضُ مـنـهـا نَـفْـسُـه ويـكـاد يَـخـرجُ قَـلـبُـه مـن صَـدْرِهِ[1]

أبو أحمد طلحة

وقيل: محمد بن جعفر المتوكِّل، الملقَّب بالموفَّق، ولقِّب بعد قتل الزَّنجي بالنَّاصر لدين الله، فكان يُخطب له على المنابر بلقَبَين، فيقال: اللَّهمَّ وأصلح الأمير النَّاصر لدينك أبا أحمد الموفَّق بالله، وليَّ عهد المسلمين، أخا أمير المؤمنين. وأمُّه أمُّ ولد، يقال لها: إسحاق.

كان من أَجَلِّ الملوك رأياً، وأَسْمَحِهم نَفْساً، وأحسنهم تدبيراً، عزيزَ العقل، جواداً، سَمْحاً، وكان أخوه المعتمد قد جعله وليَّ عهده بعد ابنه جعفر المفوَّض، فمات الموفَّق قبل المعتمد وقبل جعفر، ولمَّا مات الموفَّق بايع المعتمد لأبي العبَّاس بعد جعفر، ولقبه المعتضد.

وقال أبو عبد الله الألوسي[2]: لمَّا صار جيش الدَّعيِّ الخبيث بالبصرة وجاء إلى النُّعمانية طُرحت في دار الموفَّق رقعة، فقرأها وفيها: [من الوافر]

أرى نـاراً تـأجَّـجُ مـن بـعـيـدٍ لـهـا فـي كـلِّ نـاحـيـة شُـعـاعُ
وقـد نـامـتْ بـنـو الـعـبَّـاس عـنـهـا فـأضـحـتْ وهـي غـافِـلـةٌ رَتـاعُ
كـمـا نـامـت أمـيَّـةُ ثـم هـبَّـتْ لـتـدفـعَ حـيـن لـيـس لـهـا دِفـاعُ

فأمر الموفَّق من ساعته بالرَّحيل إلى قتال الزَّنج.

ومراد الشَّاعر قولُ نَصْر بن سيَّار:

أرى تـحـت الـرَّمـادِ وَمِـيْـضَ جَـمْـرٍ[3]

---

(١) «الأغاني» ١٤/ ٥٧ ، و«تاريخ دمشق» ٤٢/ ٢٤٢ ، و«وفيات الأعيان» ٣/ ١٨٦ ، و«تاريخ الإسلام» ٥/ ٨٦٦ـ٨٦٧ وذكره في وفيات سنة (٢٣٥) أو (٢٣٦).

(٢) في (خ) و(ف): الأموسي. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦١/ ٢٢٦ ، وينظر ما سلف في «تاريخ بغداد» ٢/ ٤٩٣ـ٤٩٥ .

(٣) عجزه: وأخلَقَ أن يكون له ضِرام، انظر «أنساب الأشراف» ٣/ ١٤٩ ، و«الأغاني» ٧/ ٥٦ ، و«تاريخ دمشق» ٦١/ ٢٢٦ .

ولد الموفَّق يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأوَّل، سنة تسع وعشرين ومئتين، وقتل الزَّنجي وفعل ما فعل، وكان يقول: بلغني عن جدِّي عبد الله بن عبَّاس أنَّه كان يقول: إنَّ الذُّباب لَيقع على جليسي فيَغُمُّني ذلك، وهذا نهاية الكرم، وأنا والله أرى جُلسائي بالعين الَّتي أرى بها نفسي وإخواني وأهلي.

وقال يوماً: صدق المأمون حيث يقول: الفَلَك أدَقُّ من أن يَبقى على حال، فاغتنموا أوقات السُّرور، واعتقدوا المِنَن في أرقاب الرِّجال، واتَّخِذوا لأعقابكم الصَّنائع، فإنَّ المُقام في الدُّنيا لُمَعٌ، ولا يدوم الدَّهر على حال.

ذكر وفاته:

كان الموفَّق قد حبس ابنَه أبا العبَّاس عند إسماعيل بن بُلبل، فضيَّق عليه، فلمَّا ورد الموفَّق بغداد، واشتدَّ مَرضُه، وأُرْجِف بموته، ويئس منه إسماعيل، وجَّه إلى بكتمر التُّركي ـ وكان موكَّلاً بالمعتمد[1] وابنِه جعفر بالمدائن ـ أن يُحضِرهما إلى بغداد، فأصعد بهما، وأنزلهما ابنُ بلبل في داره، فأقاما يوماً، فقيل لابن بُلْبل: قد أفاق الموفَّق من غَشْيته، فانحدر ومعه المعتمد وابنه جعفر المفوّض إلى دار الموفّق، وقال المعتمد: أريد أن أَنْصُرَ أخي.

ومضى صافي الحُرَميُّ ومؤنس ويانس خدم الموفَّق فأخرجوا أبا العبَّاس، وأتَوْا به إلى دار الموفَّق، فقرَّبه أبوه وأدناه، وخلع عليه وعلى إسماعيل، وكان قد ضيَّق إسماعيل على أبي العبَّاس، وعلمت العامَّةُ ذلك، وكانوا يخافون عليه من إسماعيل، فنَهبت العامَّة دار إسماعيل، فخرج أهلُه وولده حُفاةً عُراةً، وطلب إسماعيل حَصيراً يجلس عليه فلم يجد، فاستُعير له حَصير من بعض دور الجيران.

وفي يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من صفر توفِّي الموفَّق، ودُفن ليلة الخميس في الرُّصافة عند قبر أمِّه، وصلَّى عليه ابنُه أبو العبَّاس، وكانت وفاته بالقصر الحَسَني، وله تسع وأربعون سنة إلَّا أياماً[2].

---

(١) في مروج الذهب ٨/١٠٦ : وكان موكلاً بالمعتضد بالمدائن...

(٢) في (ب): فكانت وفاته بالثغر الحسيني وله سبع وأربعون سنة إلا أياماً.

قال عبد الله بن المعتز: لمَّا مات الموفّق كتب إليّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يعزِّيني فيه، وقال: إنَّما أُعزِّيك بالمنصور الثاني، لا أعرف في ولده أشبهَ به منه[١].

وبايع النَّاسُ والقوَّادُ والغِلمانُ لأبي العبَّاس بولاية العهد بعد جعفر المفوّض، ولُقِّب المعتضد بالله، وخُطب يوم الجمعة للمعتمد، ثمَّ للمفوَّض جعفر، ثم لأبي العباس[٢]، وذلك لسبعِ ليالٍ بَقين من صفر.

وفي يوم الاثنين لأربعٍ بقين منه قبض أبو العبَّاس على إسماعيل بن بُلبل، وعذَّبه بأنواع العذاب، وجعل في عُنُقه غُلًّا فيه رُمَّانةُ حديد، وزنُها مئة رطلٍ وعشرون رطلاً، وألبسه جُبَّة صوف وقد صيِّرت في دهن الأكارع، وعلَّق في عنقه رأسَ كَلْبٍ مَيت، ثمَّ مات، فدفن بقيوده وغلّه وجُبَّته.

واستكتب أبو العبَّاس عبيد الله بن سليمان بن وهب لثلاثٍ بقين من صفر يوم الثلاثاء، وولَّاه الوزارة، وقيل: إنَّ إسماعيل [بن بلبل] مات في سنة تسع وسبعين ومئتين بعد موت المعتمد، وتمكُّن المعتضد من الخلافة[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بن حَمدون: حدَّثني المعتضد بالله وهو خليفة قال: لما ضرَّب إسماعيل بن بُلبل بيني وبين أبي الموفَّق، وأوحشه منِّي حتَّى حبسني الحَبْسَةَ المشهورة، كنتُ أتخوَّف القتلَ صباحاً ومساءً، وأن يَرميَني إسماعيلُ عنده بما يكون سبباً لقتلي، واتَّفق خروج أبي إلى الجَبل، فازداد خَوفي، وأشفَقْتُ أن يُكاتبه إسماعيل عنِّي بكَذبٍ يجعل غَيبتَه طريقاً إلى تَلَفي، وكنتُ محبوساً عنده، فأقبلت على الدُّعاء والتضرُّع إلى الله تعالى.

وكان إسماعيل يأتي كلّ يوم، ويريني أنَّ ذلك خدمة لي، فدخل عليَّ يوماً والمصحف في يدي وأنا أقرأ فيه فقال: أيُّها الأمير، أعطني هذا المصحف لأتفاءل لك، فلم أُجِبْه، فمدَّ يده فأخذه، فأول ما فتح خرج: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٢٩] فاسودَّ وجهُه، ثمَّ فتح

(١) «المنتظم» ١٢/ ٣٠٤.

(٢) في النسخ: ثم للمفوض جعفر ولقب المعتضد بالله، وهذه العبارة الأخيرة مكررة لانتقال النظر، والله أعلم، والمثبت من «الكامل» ٧/ ٤٤٤.

(٣) «تاريخ الطبري» ١٠/ ٢٢، و«تاريخ الإسلام» ٦/ ٥١٨ـ٥١٩. ومن هنا إلى آخر السنة ليست في (ب).

ثانياً فخرج: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٥] فارْبَدَّ وَجْهُه، ثم فتح ثالثاً فخرج: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٥٥] فوضع المصحف وقال: أيُّها الأمير، أنت والله الخليفة بغير شكّ، فما حَقُّ بِشارتي؟ فقلت: اللهَ اللهَ في دمي، وأسأل الله أن يُبقي أمير المؤمنين والأمير الموفَّق، وما لنا وهذا؟ وجعل يحلف بالأيمان أنَّه لم يكن منه إليَّ مكروه، فصدَّقتُه ولاطفتُه؛ خوفاً من أن تزيد وحشتُه فيسرع في تدبير أمري، حتَّى سكن، وجاء الموفَّق من الجبل مريضاً، وجاؤوا فأخرجوني من الحبس، وولِّيت الخلافة ومكَّنني الله من ابن بلبل، فأنفذتُ الحكمَ فيه[١].

وقال أحمد بن حَمْدون: حدَّثني المعتضد قال: لمَّا قدم أبي من الجبل وهو عَليل عِلَّته الَّتي مات فيها وأنا في حبسه، اشتدَّ خوفي، ولم أشكَّ أنَّ إسماعيل يَحمله على قتلي، أو يحتال بحيلةٍ يَسفك فيها دمي إذا وجد أبي قد ثقل ويئس منه، فصلَّيتُ في اللَّيل صلاةً كثيرة، ودعوتُ دعاءً عظيماً، وتضرَّعت إلى الله تعالى، ونمتُ، فرأيتُ في منامي كأنِّي على شاطئ دجلة، وهناك رجل يمدُّ يده إلى مائها فيصير في يده، ثمَّ يردُّه فيعود إلى دجلة، فعل ذلك مراراً، فدنوتُ منه، وسلَّمتُ عليه، وقلتُ: من أنتَ يا عبد الله الصالح؟ فقال: أنا عليُّ بن أبي طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين، ادعُ الله لي، فقال: إنَّ هذا الأمرَ صائرٌ إليك، فاعتضِدْ بالله، واحفظْني في ولدي، قال: فانتبهتُ مَرعوباً، وكتبتُ: فلان الوزير، وفلان الأمير، وكتبتُ ما أعتمده إذا وليتُ الخلافة، ودفعتُ الرُّقعة إلى غلام كان معي في الحبس، ولَحِقَتِ الموفَّقَ غَشْيةٌ، وإذا بأقفال البيت الذي أنا فيه تُكْسَرُ، فأيقنتُ بالهلاك، واستقبلتُ القبلة، وجرَّدت سيفي بين يدي وقلت: أموتُ كريماً، وإذا بخدم أبي وغلماني قد دخلوا عليَّ، فزال خوفي، ورميتُ السَّيف من يدي، فأخرجوني وأدخلوني على أبي، فأخذت يده وجعلتُ أقبِّلها، ففتح عينيه فرآني، فرقَّ لي، وأشار إلى الخدم أن قد أحسنتُم فيما فعلتُم، ثمَّ مات من ليلته، فلمَّا وليتُ الخلافة عملتُ بما في الورقة.

قال أحمد بن حمدون: فما عرض المعتضد في أيَّامه للعلويِّين، ولا آذى منهم أحداً، وأحسن إليهم ووصلهم[٢].

---

(١) «الفرج بعد الشدَّة» ١/ ١٨٢ـ١٨٥ .

(٢) «الفرج بعد الشدَّة» ٢/ ٢١٠ـ٢١٢ ، وينظر «مروج الذهب» ٨/ ٢٠٥ـ٢٠٦ .